مقال مراجعة موضوع

الدلالة الاجتماعيّة في حكمة لقمان

أ.م.د. صفاء توفيق كاظم الفحام
كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية- جامعة بغداد

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية. الدلالة الاجتماعية. سورة لقمان

الملخص:

تناول هذا المقال نصاً قُرآنياً كريماً اشتمل على مجموعةٍ من المواعظ القيمة المُنبثقة من الحكمة المتعالية لعبدٍ من عباد الله معروفٍ باسم لقمان، الذي ورد ذكرهُ مرتينِ في هذا النص، بينت أولاهما الحكمة التي أُوتيها من الله سبحانه، وتضمنت الثانيةُ الموعظة التي وَعظ بها ابنهُ، وتضمن هذا المقال بياناً دلالياً لألفاظٍ وأساليبَ بليغة، وتراكيب متماسكة يُبين بعضُها بعضاً مشتملة على أبرز المضامين الاجتماعية، أي أن هذا المقال تناول نصاً نظمياً يحتوي على مجموعةٍ من الابعاد ذات الدلالة الاجتماعية التي تبتدأ من الوالدين مرورًا بالاسرة الصغيرة انتهاءاً بالمحيط الاجتماعي، وهذا ما بيناه في المقال .

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ (12) وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ (13) وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ (14) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (15) يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ (16) يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ (18) وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ(19))).

أشارَ هذا النص المبارك إلى مضمون قيم، وهو حكمةُ لقمان (عليهِ السلام) التي أشتملت على مجموعةٍ من المواعظ الاجتماعية، والأخلاقية، والتربوية، وهي من المضامين القيمة والمعطيات العظيمة التي قامت عليها هذه الحكمة، فضلًا عن إنها أشتملت على ألفاظ وأساليب ذاتِ الابعاد الدلاليةِ المهمة التي ينبغي علينا أن نقف عندها؛ لأنها تُمثل وحداتٍ وجزئيات تَشكل مِنها نَص متكامل بِجملٍ، وعباراتٍ يرفد بعضُها بعضاً، ويبين بعضُها بعضاً، ومن هذه الالفاظ :

أولاً :الحكمة:

وهي العقل والفهم قال تعالى: (وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [سورة البقرة: 269]، وهي تُعد من أعلى درجات الحكمة؛ لأنها من المواهب الإلهية التي اختصَ بها الله عبادهِ الذين أصطفى، وهي المعرفة العلمية النافعة، وهي وسط الاعتدال بين الجهل والجربزة ومما يلفت النظر في عِلو هذهِ الحكمة الحصول عليها من الله سبحانهُ، وهو ما دل عليه الفعل المُسند اليهِ (آتينا) فضلاً عن تظافر أسلوبي القسم والتوكيد زائدًا ضمير الجماعة في (آتينا) الدال على التعظيم.

ثانيًا: الشُكر:

وليس المراد بالشُكر هنا شُكرا لفضياً، وإنما شُكرهِ تعالى على النعمةِ من حيث كونها نعمةٌ، أي من باب وضع الشيء في موضعه، والظاهر إن الشُكر في هذا الموضع تفسير للحكمة وبيان لها وتُبين الجملة الشرطية فيما بعد أعني قولهِ تعالى: (وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)[سورة لقمان: 12]، تُبين هذهِ الجُملة أمرين أحدهما ان الشُكر تعود منفعتهُ على العبدِ نفسهُ لا على ربهِ؛ لأن الله غنيٌ عنه، وثانيهُما ليس في الكُفرِ مضرةٌ عليهِ سُبحانهُ فأنهُ سُبحانه غنيٌ حميد سَواء شكرهُ العبد، أو كفر بهِ، ومما تجدر الإشارة اليهِ، ونحن في هذا الصدد إن في قوله تعالى: (أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ) التفات من الكلام مع الغير إلى الغيبة وذلك للتعظيم، وهذا المعنى لا يؤديه ضمير المُتكلم كما لو قال أنِ اشكُر لنا.

ثالثا :وصية الله الانسان بوالديهِ:

هذه الجملة وما بعدها إلى قوله تعالى بما كنتم تعملون جمل اعتراضية ليست من كلام لقمان، وإنما هي من كلامه تعالى، وذلك لأن الوصية بالوالدين تُعد من الأولويات بعد شُكر الله وعبادته، ومن الملفت للنظر إن الإحسان لم يرد في هذا السياق كما هو المعتاد في القرآن الكريم، ولعل السر في ذلك يعود إلى أن حيثيات الوصية المتعلقة بالام في هذا الموضع

القرآني، ومما يُلحظ في هذا الموضع إقتران شُكر الوالدين بِشُكرهِ سبحانه، وهذا ما يُؤيد ما ذكرناه آنفا من إن البر بِهُما والإحسان اليهُما يأتيان في المرتبة الثانية بعد عبادتهِ سبحانه.

رابعا :- المجاهدة:

والمُراد بِالمُجاهدة في المقام الإلحاح والإصرار على إتخاذ الشريك فقد نُهي الانسان عن ذلك؛ لأن طاعة الوالدين في هذا الجانب تتعارض مع طاعة الله سبحانهُ لذا دل فعل الامر (وصاحِبهُما على طاعتِهُما) في الشؤون الدنيوية لا الشؤون الدينية وهذا يُمثل قِمة الارتباط والالتزام بطاعة الوالدين، وشدة العلاقة بهما وان كانا مُشركين او كافرين.

خامسا :-الإنابة:

والأصل فيها الرجوع أي الرجوع إلى الله تبارك وتعالى، بل اتباع سبيل المُنيبين اليهِ، فهذهِ الجملة تَدُل على الامر الإلهي الصادر إلى الانسان بضرورة إتباع سبيل المُنيبين إليه، وذلك؛ لأن المصير الحتمي إليه سُبحانه، وكذلك الرجوع بصورته الجمعية المُطلقة وإنبائهم يوم القيامة بِما عَملوا في الدنيا، وهذا مما يُستفاد من التقديم والتأخير الحاصل في الآية أعني قوله: (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [سورة لقمان: 15].

سادسا :-موعظة لقُمان لأبنه:

وهذه الموعظةُ قائمةٌ على أساس الحكمة التي أُوتيها لقمان من ربهِ وهي تشتمل على مجموعة من الأمور والمطالب دلّ عليها النص المتقدم وهي:

1- أهمية العمل مهما كان قليلاً، ولو كان مثقال ذرةٍ من حبةِ خردل، وهذا المقدار أصغر ما يمكن أن يتصورهُ الانسان، وهناك ما هو أصغرُ من ذلك؛ مِما لا يُرى إلا باجهزةٍ خاصّة معينةٍ، وهذا المقدارُ لو كان في أي صخرةٍ من الصخور الجبلية أو البحرية يأتي بها الله سبحانهُ وتعالى؛ لأنه لطيفٌ باستخراجها خبيرُ بموضِعُها، وذكروا أن الضمير في (أنّها) للخصلة من الخير والشّر لدلالة السياق على ذلك، وهو أي الضمير أيضًا اسم كان و(مثقال حبة) خبره والمراد بكونها في صخرة اختفاؤها بالاستقرار في جوفِ الصخرة الصماء، أو في السماوات أو في الأرض والمراد بالإتيانِ بها احضارها للحساب والجزاء.

2- اشتملت هذه الموعظةُ اللقمانيةٌ على أمور غايةٌ في التكاملِ والسموِ، أي سمو مقام الانسان وارتفاعُ درجاتِه عند ربه كـ إقامة الصلاة والأمر بِالمعروفِ والنهي عن المُنكر والصبر على المصائب، وهذا الأخير هو من عَزِم الأمور كما عبر القرآن الكريم واسم الاشارة (ذلك)، دل على التعظيم أي تعظيم الصبر وليس اشارة إلى كل ما ورد، وذلك بأن الصبر أشير إليه؛ بأنه من عزم الأمور في أكثر من آية قرآنية منها قوله تعالى: (ولمن صبر وغفر أن ذلك

من عزم الأمور) {الشورى: 43}، وقوله تعالى (أن تصبروا وتتقوا فأن ذلك من عزم الامور) { ال عمران: 186}.

3- النهي عن تصعير الخد والمشي مرحًا، وهما من خصال المتكبرين، فالمعنى لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرًا، ولا تمشِ في الأرض مشية من أشتد فرحه أن الله لا يحب كل من تأخذه الخيلاء، وهو التكبر بتخيل الفضيلة ويُكثر من الفخر.

4- ومن الموارد الأخلاقية التي اشتملت عليها هذه الموعظة القصد في المشي، وغض الصوت، والمراد بالقصد الاعتدال، ومعنى الغض على ما ذكره الراغب النقصان من الطرف، والصوت فغض الصوت النقص، والقصر فيه والمعنى العام للآية خُذ بِالاعتدال في مَشيك، وبِالنقص والقُصر في صوتك، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير لمُبالغتها في رفعه، وربما يَفهم بعضهم هذه الآية فهماً يَظلم فيه الحمير (إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ){سورة لقمان: 19}.

فنهيق الحمار ليس مُنكرا من الحمار إنما المُنكر أن يشبه صوت الانسان صوت الحمار فكأن نهيق الحمار كمال فيه، وصوتك الذي يشبهه مُنكر مذموم فيك، وإلّا فما ذنب الحمار.

وفي نهاية هذا المطاف أقول أن هذا النص الكريم باساليبهُ المُعبرة، وتراكيبهُ المُتماسِكة، وبلاغتهُ المعجزة دلّ على أربعة أمور اساسية تُعدّ من مقومات المجتمع وهي:

1- العلاقةُ بالله القائمة على عبادته ونفيِ الشريك عنه.

2- العلاقة بالوالدين القائمة على البِرّ بِهُما، وذكر ما قاما به من تهيئه وإعداد.

3- قيمة العمل مهما كان قليلا، فأنه ينفع صاحبه، ولا يُخفى على الله سبحانه.

4- العلاقة بالمجتمع القائمة على الأسس العباديةِ، والاخلاقية كالتواضعِ والقصدِ في المشي وغض الصوت، وهذه هي الحكمةُ بعينها والموعظةُ ب أبهى صورها.

المصادر:

1- بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار محمد باقر المجلسي , م : 1110 هـ ، الطبعة الثانية دار الاحياء التراث العربي مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان.

2- تفسير الشعراوي (الخواطر) المؤلف محمد متولي شعراوي ,م : 1418 هـ ، الناشر .. مطابع اخبار اليوم , 1997م .

3- المفردات في غريب القرآن المؤلف ابو القاسم الحسين ابن محمد المعروف بـ الراغب الاصفهاني , م :426هـ , المحقق صفوان عدنان الداوودي , الناشر دار القلم – الدار الشامية ,دمشق – بيروت , الطبعة : 1412هـ .

4- الميزان في تفسير القرآن لـ المؤلف محمد حسين الطبطبائي ...منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات , الطبعة الثانية 1974 بيروت , لبنان .

References

1. Bihar Al-Anwar Al-Jami'a Li'l-Durar Al-Akhbar Al-Akhbar Al-Pure Imams, Muhammad Baqir Al-Majlisi, AD: 1110 AH, second edition, Dar Al-Ahya, Arab Heritage, Al-Wafa Foundation, Beirut - Lebanon
2. Tafsir Al-Shaarawi (Thoughts), author Muhammad Metwally Shaarawi, AD: 1418 AH, publisher: Akhbar Al-Youm Press, 1997 AD.
3. Al-Mufradat fi Ghareeb Al-Qur'an, author Abu Al-Qasim Al-Hussein Ibn Muhammad, known as Al-Raghib Al-Isfahani, AD 426 AH, investigator Safwan Adnan Al-Daoudi, publisher Dar Al-Qalam - Dar Al-Shamiya, Damascus - Beirut, Edition: 1412 AH.
4. Al-Mizan in the Interpretation of the Qur'an by the author Muhammad Hussein Al-Tabtabai... Publications of Al-Alami Publications Foundation, second edition, 1974, Beirut, Lebanon.

Review Article

The social significance in the wisdom of Luqman

Assist Prof Dr. Safaa Tawfiq Kazem Al-Fahham
College of Education, Ibn Rushd for Human Science
University of Baghdad
safaa.tawfiq@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Keywords: Arabic. Social connotation. surat Luqman

Summary:

This article dealt with a noble Qur'anic text that included a set of valuable sermons emanating from the transcendent wisdom of a servant of God known as Luqman, who was mentioned twice in this text. The first of them explained the wisdom that was given to him from God Almighty, and the second included the sermon with which he admonished his son, and this article included a statement. Semantically, there are words, eloquent methods, and coherent structures that explain each other, including the most prominent social contents. That is, this article dealt with a regulatory text that contains a group of dimensions with social significance that begin with the parents, passing through the small family, and ending with the social environment, and this is what we have shown in the article.